

الزبي الشعبي الفلسطيني بين الحداثة والتهويد

Palestinian Folk Costume Between the Modernity and Judaization

مازن عبد اللطيف

Mazen Abdullatif

بريد الكتروني : mazen652000@yahoo.com

قسم السياحة والآثار - جامعة النجاح الوطنية

نابلس - فلسطين

2012

بحث مقدم إلى المؤتمر الرابع " الفن والتراث الشعبي الفلسطيني (واقع وتحديات)

المحتويات

- ملخص البحث
- مقدمة
- تعريف الفلكلور (التراث)
- النظريات المتعلقة بنشأة الأزياء (اللباس)
- نبذة تاريخية عن الأزياء الشعبية الفلسطينية
- دلالات الأزياء الشعبية الفلسطينية
- العوامل المؤثرة في الأزياء الشعبية الفلسطينية
- الأساليب الإسرائيلية في سرقة وطمس وتهويد الأزياء الشعبية الفلسطينية
- وسائل حماية وإحياء الأزياء الشعبية الفلسطينية
- النتائج والتوصيات
- قائمة المراجع

الزبي الشعبي الفلسطيني بين الحداثة والتهود

نظراً لأهمية التراث في تاريخ الأمم والمجتمعات كونه يمثل الجذور التاريخية الضاربة في أعماق التاريخ ولأنه بمثابة الهوية التي من خلالها يبرز المجتمع ، فان الأمم لا تدخر جهداً في توظيف الطاقات والإمكانات لحماية تراثها ونشره وتفعيله بما يتمشى مع صور العصرية والحداثة دون المساس بجوهره وأصالته .

إن الشعب الفلسطيني هو الأجدر بالتمسك بتراثه والحفاظ عليه نظراً لما يقوم به الاحتلال الصهيوني من ممارسات ومحاولات مستمرة لسرقته وطمسه وتهويده بهدف الترويج دولياً لتراث وتاريخ مختلق ومزعوم يرتبط تاريخياً وجغرافياً وديمغرافياً بهذه الأرض .

من هنا تأتي أهمية هذه الدراسة والتي ستركز على الزبي الشعبي الفلسطيني كنموذج أو مثال واضح لكل تلك الممارسات الصهيونية منذ اللحظة الأولى لاغتصاب فلسطين وبأساليب مختلفة .

وسيتم التعرض في الدراسة إلى التعريف بالزبي الشعبي الفلسطيني وتوضيح مراحل تطوره التاريخية ومدى أهميته ودلالاته المختلفة . كما تتناول الدراسة طبيعة ونوعية الزخارف والألوان المستخدمة وما تعكسه من دلالات اجتماعية واقتصادية وعمرية ودينية بين طبقات وشرائح المجتمع الفلسطيني .

إضافة إلى ذلك ، سيتم وضع عدد من المقترحات والتوصيات التي أمل أن تساعد على جمع وحفظ وترويج التراث الفلسطيني ليقى ويستمر رغم كل المعوقات والمصاعب .

Abstract:

"Palestinian folk costume between modernity and Judaization"

Given the importance of heritage in the history of nations and societies as it represents the historical roots which are deep in history and because heritage served as the identity through which a certain society is known, the nations are sparing no effort in stepping up all efforts and capabilities to protect , disseminate and activate their heritage, in accordance with modernity and without compromising its essence and originality.

The Palestinian people should maintain their heritage because of the Zionist occupation practices and continuous attempts to steal and judaize our heritage in order to internationally promote a fabricated and alleged heritage and history which are linked historically ,geographically and demographically to this land.

Here comes the importance of this study which will focus on the Palestinian folk costume as a model or a clear example of all these Zionist practices since the first moment of the occupation of Palestine with different methods and tactics.

The study will introduce the Palestinian folk costume and clarify the historical stages of its development and its importance. The study also addresses the nature and quality of motives and colors used and shows how they reflect social, economic and religious significance between classes and segments of the Palestinian society.

In addition, the study will propose a number of recommendations that ,I hope , will help unify, preserve and promote the Palestinian heritage so that it can survive despite all the obstacles and difficulties.

مقدمة :

لقد واجه التراث الفلسطيني بشكل عام والزي الشعبي منه بشكل خاص نكبات وكوارث مختلفة على مر التاريخ، لكنها لم تصل إلى ذروة ما يواجهه في العصر الحديث من محاولات الطمس والتهميد المستمرة من قبل الاحتلال الإسرائيلي ، فكان الاحتلال أحد الدوافع الأساسية في صحوته للاهتمام بتراثه وحمايته وتكريس هويته وذاته، لأنه أدرك بعد اغتصاب معظم أرضه وتشتت هويته السياسية أن من لا تراث له لا وجود له.

لقد هدفت الصهيونية منذ مؤتمر بال في سويسرا سنة 1897م إلى السيطرة على فلسطين ثم تهويدها، وتشويه وطمس هويتها وتراثها وأثارها. فوظفت كل الطاقات والإمكانات المادية والبشرية لتحقيق ذلك .

إن التراث الفلسطيني يتعرض إلى مشاكل وعقبات كثيرة مثل الدمار والطمس والسرقة والضياع ، التخطيط السيئ غير المدروس بموضوعية ، نقص الكفاءات والخبرات المتخصصة، قلة الإمكانات المادية، وعدم التنسيق والتخطيط البناء بين المؤسسات المختلفة ذات العلاقة ، مما يعني عدم إعطاء أية أولوية لهذا المجال وإهماله والتعامل معه بصورة ثانوية. إضافة إلى قلة المؤلفات والمراجع المتخصصة في هذا المجال مقارنة بالدول المجاورة.

وبناء على ذلك سنتناول الدراسة المحاولات الصهيونية الرامية إلى طمس معالم التراث الفلسطيني والوسائل والإجراءات المتعددة والمبتكرة التي تنتهجها في سبيل تحقيق ذلك ، خاصة ما يتعلق بالزي الشعبي الفلسطيني الذي يمثل رمزا للهوية الوطنية ، إضافة إلى الآليات والطرق التي علينا إتباعها، والعمل بها لمواجهة ذلك كله، والمحافظة على تراثنا، وحمايته ونشره، والتعريف به، وإبرازه بصورة مشرقة، حتى يعكس تاريخنا ويبرز هويتنا ويكرس ارتباطنا بالأرض .

تعريف الفلكلور :

لقد تباينت الآراء حول تعريف هذا المصطلح حيث نجد الانجليزي وليام جون تومس قد استعمله منذ سنة 1846م مكونا من مقطعين هما (فولك) بمعنى عامة الشعب ، و(لور) أي المعرفة أو حكمة الناس (مرسي ، 1975 ، ص5) حيث اشتقه ليكون بديلا للتعبير السابق " الأثریات الشعبية " ومنذ ذلك الوقت لقي قبولا واقعيا في كل دول أوروبا (كراب ، 1967 ، ص17) ، فيما يرى البعض انه دراسة مخلفات الماضي غير المدون (نعيرات وجبر ، 2011، ص9). ولا يبتعد كثيرا عن ذلك يوري سوكولوف عندما يعرفه انه حكمة الشعب أو المعرفة الشعبية لأنه فن لا شخصي وفطري يتسم بصدق التعبير ، حيث تتوارثه الأجيال عن بعضها دون معرفة أو تحديد مصمم معين له ، لأنه في النهاية تصميم فعلي من الشعب (سوكولوف ، 1971، ص22).

النظريات أو الآراء المتعلقة بنشأة اللباس :

مما لاشك فيه خاصة من الناحية الدينية أن بداية تغطية الإنسان لجسده كانت مع سيدنا آدم وزوجته حواء في الجنة بعد إغوائهما من الشيطان حيث استخدمتا ورق التين لستر عورتهم ، وعلى الأرض لبسا جلد الحيوانات للوقاية من العوامل الطبيعية وستر العورة . ثم اخذ الإنسان يصطاد الحيوانات ويكشط جلودها ويصنع ملابسها . وفي مراحل لاحقة خاصة عند المصريين والعراقيين القدماء بدأت تظهر المنسوجات الأولى (جودي ، 1997 ، ص6) . ويمكن تلخيص أهم النظريات المتعلقة بنشأة اللباس فيما يلي :

- 1- إن نشأة الأزياء ترتبط بالأخلاق ، أي الخجل من العري .
- 2- لأغراض طبيعية (حماية الجسم من تأثيرات الجو) .
- 3- لإبراز الجاذبية ، حيث ترجع أصولها إلى دوافع غزلية (العنتيل ، 1978، ص31- 332) .

4- ارتباطها بفكرة السحر، أي للوقاية من العين الشريرة . وهذا مرتبط بالمعتقدات والطقوس الدينية .

5- لإبراز قوام المرأة وجمالها . خاصة وان الإنسان اهتم بتزيين نفسه وبيته ومحيطه منذ بداية وجوده على الأرض . (قعوار ، 1974، ص56)

نبذة تاريخية عن الأزياء الشعبية الفلسطينية :

يعتقد البعض أن الأزياء الفلسطينية قد ظهرت في العصر الحجري القديم حوالي 280,000 ق.م عندما كان الإنسان في مرحلة الصيد و يصنع لباسه من جلود الحيوانات ، وهذا ما أوضحته النقوش المكتشفة من كهف أم كطفة عند البحر الميت وكهوف بئر السبع منذ أكثر من 35,000 سنة ق.م . (المزين ، 1981 ، ص15) بينما عرفت الملابس المنسوجة بعد معرفة التدجين والزراعة والاستقرار في القرى ثم المدن الأولى ، حيث عثرت البريطانية كاتلين كنيون على تمثال الإلهة الأم عناة إلهة الخصب من الألف 7 ق .م على ملابس في فلسطين (Kenyon , 1954, P. 4) كما تم العثور على الجماجم المجصصة في أريحا وعليها أغطية الرأس الفلسطينية المعروفة باسم الوقاية أو الصمادة منذ 6800 ق.م (نصر ، 1998 ، ص170) . أما فيليب حتي فيرى أن فلسطين استمرت في إنتاج الملابس المطرزة وعرفت المغازل والأنتقال الحجرية لأنوال منذ الألف 3 ق.م إضافة إلى الإبر والدبابيس (حتي ، 1958 ، ص 99-101) .

مما يعني أن الكنعانيين لعبوا دورا مهما في هذا المجال حيث أنهم كانوا مهرة في صناعة الأقمشة واستخراج الأصباغ الأرجوانية أو الحمراء اللون وفي زخرفة الملابس وصناعة النسيج .ويؤكد ذلك الرسوم الجدارية الفرعونية من مقابر بني حسن حوالي 1900 ق.م . وقاموا بتسويقها في رحلاتهم وتجارتهم في جزر البحر المتوسط وجنوب أوروبا ، فقد كان التطريز مكرسا عندهم لملابس رجال البلاط والنبلاء والمعابد بسبب توفر الأموال والخيوط الذهبية . ثم توالى استمرارها في العصور الكلاسيكية اليونانية والرومانية حيث كان الجنود يحملون معهم الملابس الفلسطينية المطرزة . كما لبس رجال الدين من اليهود والمسيحيين الزي الكنعاني المطرز مما ساهم في انتشاره وتعميمه (سرحان ، 1989 ، ص574) . وفي العصور الإسلامية كالفاطمي والأيوبي والمملوكي مرورا بالعصر الصليبي وانتهاء با لعثماني - الذي كثرت فيه مشاغل النسيج في فلسطين وان كانت الزراعة قد أثرت سلبا على هذه الحرفة لعدم تفرغ النساء لها إلى حد كبير - ، فإنها بقيت مستخدمة

. ومنذ انتهاء الخلافة العثمانية ودخول الانتداب البريطاني ثم الاحتلال الإسرائيلي نجد أن الكثير من التغييرات قد طرأت على المطرزات الفلسطينية سواء من خلال وسائل الغزو الثقافي أو بتشجيع الناس على ارتداء الملابس الحديثة والابتعاد عن القديمة والشعبية منها مع الترويج بأنها عنوان للتخلف وعدم مواكبة التطور والموضة (نعيرات و جبر ، 2011 ، ص 72 - 73) . وبشكل عام ، اشتهرت العديد من المدن الفلسطينية في حرفة النسيج كالمجدل والناصره ، ولكن تبقى غزة أقدمها رغم عدم تحديد متى وكيف وصلتها هذه الصناعة (الموسوعة الفلسطينية ، 1984 ، ص 204) .

الزي الفلسطيني - أهميته ودلالاته :

إن الزي الفلسطيني يمثل هوية ثقافية وتاريخية ، ويعبر من الناحية الاجتماعية عن ارتباط الإنسان الفلسطيني بأرضه ووطنه ، ويميزه عن غيره . وبما أن الزي الفلسطيني حامل لهويته الثقافية وشاهد على تاريخه ، فانه يستخدم في التعبير عن موقف الشخص الذي يلبسه كما هو الحال في التضامن معه عندما تلبس الكوفية (الحطة) في المظاهرات والاحتجاجات ضد المحتل ، فهي تكون بمثابة إثبات للكيان الفلسطيني كله (حمودة ، " الحطة الفلسطينية ... موضة أم قضية " ، www.islam on line .net) .

تتباين أشكال وأساليب التطريز من منطقة لأخرى ، مما يحتم علينا دراسة جغرافية المكان وثقافة الحرفي أو الصانع ، لذا نجد أن الزي البدوي يتباين بين شمال وجنوب فلسطين بسبب الفروق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والموروثات الحضارية (أبو خوصة ، 1993 ، ص 15) . بينما نجد أن الزي في القرى والريف يرتبط بشكل رئيسي بالزراعة ، وهو الأكثر شيوعا ، حيث تتفاوت زينته من منطقة لأخرى بحكم الاختلاف بين السهل والجبل والساحل . كما تتميز أشكالها بتكرار الأشكال الهندسية ، وبأنها توضح روائع الطبيعة الريفية كالنجمة والزهرة والسنبله وغيرها ، لذا فانه تراث زراعي مرتبط بحياة الاستقرار (كراجه ، " الزي الفلسطيني ... سجل وتاريخ " ، 2006 ، www.jalili48.com) أما في المدن ، فيختلف لباس الرجل بوضع الطربوش على الرأس بدلا من الحطة والعقال ، مع أن هذه الصورة تغيرت ولو لفترة مؤقتة خلال ثورة 1936م عندما طلبت قيادات الثورة الفلسطينية آنذاك من سكان المدن استبدال الطربوش بالحطة والعقال للحيلولة دون اعتقال الثوار داخل المدن (كناعنه وآخرون ، 1982 ، ص 48) . ويختلف أيضا ثوب

القروية عن البدوية سواء في الغرزة أو الألوان أو الأشكال ، فنجد عناصر مكملة عند البدوية لا تتوفر عند القروية مثل البرقع والحزام والشناف (شعث ، 2000 ، ص 217) .

كل ذلك يدعونا إلى دراسة الزي الشعبي بتعمق من حيث اللون ، الحياكة ، التطريز والتباين أو سبب الاختلاف) . فقد استوحى الزي الفلسطيني ألوانه من الطبيعة خاصة من النباتات كالزعفران والذي استخرج منه اللون الأصفر ومن نبات النيلة الذي ينمو في أريحا كان اللون الأزرق ، أما اللون البني فتحصل عليه من لحاء الشجر في حين انه استغل ورق الشجر للحصول على اللون الأخضر ، بينما اللون الأحمر استخرجه من حيوانات الموركس الصدفية من ساحل البحر المتوسط . (خليل ،الزي الفلسطيني عراقة التاريخ ونكهة الأرض ،2010 ، www.alqudslana.com) . وفيما يتعلق بالقماش أو النسيج فان المفضل منه ما يزال الأسود ، الأبيض والكريمي اللون . ورغم استمرار كثير من الزخارف القديمة في الاستعمال مثل القمر والنجوم والأزهار والطيور المنوعة ، إلا أننا نلاحظ ندرة استخدام الزخارف البشرية على الأزياء الفلسطينية(105 Rajab, 1989, p . كما ظهرت الزخارف بالكتابات الكوفية على حواشي الأزياء إلى جانب النماذج الهندسية والنباتية والحيوانية ، وخلال الحروب الصليبية كانت نابلس مشهورة بصناعة الأقمشة الكتانية ، بينما اشتهرت عكا بصناعة الحرير الشامي (عناني ومنصور ، 1989 ، ص 17) .

أما فيما يتعلق **بالعوامل التي أثرت فيه** بشكل واضح ، فقد تأثر الزي الفلسطيني بصفة الاحتشام في اللباس والتي ارتبطت بالأنبياء في الديانات المسيحية والإسلامية على حد سواء ، ولكن التغير ظهر جليا عند الرجال المسلمين في الفترات الأموية والعباسية من خلال التبرج ، وفي نفس الوقت ظهر الحجاب بالنسبة للنساء خاصة في المدن (عربيته ، 1998 ، ص225) ، ولأن الإسلام حرم على الرجال التشبه بالنساء ، فإنهم ارتدوا الثياب ذات الزخارف المنسوجة بينما لبست النساء الأزياء المطرزة (نصر ، 2007 ، ص 174) . ويظهر أيضا تأثير الدين الإسلامي في الزخرفة من خلال التركيز على قدسية النباتات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم كالنخيل والزيتون والعنب والسنابل وغيرها ، إلى جانب بعض الطيور والحيوانات كالديك الذي يرتبط بطابع ديني يتمثل ببزوغ الفجر وأذان الصبح والرجولة (أمين وآخرون ، 2009 ، ص47-48) ، كما لعبت العادات والتقاليد دورا مهما في التأثير على زي المرأة الفلسطينية سواء المسيحية أو المسلمة ، حيث فرضت عليها عناصر من الزي مثل الملاية والازار والحجاب... الخ . كما تباين تأثير الطقس على الزي الفلسطيني بين الصيف والشتاء خاصة ، مما ينعكس على اختيار الألوان الملائمة لكل منها ، إضافة إلى نوع وطبيعة القماش للوقاية من الحر والبرد . ويتضح تأثير الحضارات والمدنات نتيجة الاحتكاك بين الشعوب

والمجتمعات في كل من الألوان والخطوط والخصائص ومصدر كثير من الأسماء التراثية لعناصر الزي الفلسطيني كالأطراف ذات الأصل الفارسي ، والمنديل من الإيطالية (منتيل)، والسروال من الفارسية (شلوار)، أما الطربوش فأصلها من الفارسية (ساربوش) والذي يرجع تاريخه إلى أواخر عصر المماليك في بدايات القرن 16م ، كما يظهر على لباس منطقة الناصرة التأثير التركي والشركسي (عزنيطة ، 1998 ، ص 25-230) . إن تعدد الأقليات الدينية وما نتج عنه من تنوع العادات إلى جانب التطور والازدهار في مجال السياحة ووسائل النقل في القرن العشرين ، كل ذلك ، لعب دورا مهما في التأثير على الزي الفلسطيني ، فألغيت بعض الملابس كالصمادة والدامر والعباءة والعصبة ، إضافة إلى تطور تقاليد الاحتفالات كالأعراس بشكل خاص ، حيث تتفاوت المطرقات بناء على المناسبات المختلفة والعادات والتقاليد المرتبطة بها كثياب العمل والأعياد والمواسم والحداد والزواج وغيرها . وكان للتشتت والتهجير بسبب النكبة تأثير واضح ، حيث ربطت الفلسطينيين بتراثهم وأزيائهم بدرجة لا تقل عن ارتباطهم وتعلقهم بأرضهم ومقدساتهم (الموسوعة الفلسطينية ، 1984 ، ص 97-199) . إضافة إلى ذلك ، نرى أن تلك الأحداث والحروب والمآسي والانتفاضات قد أثرت على فن التطريز الفلسطيني وزخارفه وأشكاله ، ويتجلى ذلك فيما يسمى ثوب الانتفاضة الذي ظهر في الخليل بع سنة 1988م تعبيرا عن الوضع الذي يسود المجتمع الفلسطيني ، وظهرت عليه رسوم مطرزة لخارطة فلسطين والعلم الفلسطيني وأغصان الزيتون وحماسة السلام ، حيث انتشر في قرى فلسطين بسرعة ثم وصل إلى أماكن التواجد الفلسطيني في الخارج (قعوار وآخرون ، 1996 ، ص 20) . ومن العوامل الأخرى المؤثرة في زينا الفلسطيني يظهر عامل السن والوقار ، فتبدو ثياب كبار السن من النساء أقل زخرفة وألوانها قائمة نسبيا وقماشها سميك ورخيص للدلالة على الحشمة والوقار ، أما عامل الجنس فيبدو من خلال تركيز الزخرفة على ثياب النساء وندرتها عند الرجال ، بينما نجد تأثير عامل الزواج باستعداد الفتاة لعرسها حيث تقوم بتطريز عدد من الثياب لنفسها قبل الزواج ، ولتبدو ناجحة مميزة أمام عريسها (أمين وآخرون ، 2009 ، ص 51-52) .

لقد كانت المرحلة الأولى التي مر بها الزي الفلسطيني حتى عام 1948 م تشمل التركيز على ابتكار العروق والزخارف ذات الدلالات السياسية والثورية مثل عرق السلحليك ، الفشك ، الطير أو الحمام ، الملس ، الجبل ، الحصان ، حيفا ويافا ، الفنجان ، وقد أثرت نكبة 1948م في التطريز الفلسطيني فلم يعد مقتصرًا على القرى والأرياف ، بل تعداه إلى المدن من خلال مشاركة المرأة للرجل في كثير من الأعمال لزيادة دخل الأسرة ومن بينها التطريز الذي أبدت فيه مهاراتها ، كما ساعدتها في ذلك الجمعيات النسائية التي وفرت لها

الظروف الإنتاجية والتسويقية الملائمة ، وهذا كله سرع في عمليات التغيير في اللباس الفلسطيني (أمين وآخرون ، 2009 ، ص 45) . وفي المرحلة الثانية ما بين 48 - 1965 م تركز الاهتمام على الحفاظ على التراث نتيجة للنهب والتدمير والشراء من الجانب الإسرائيلي بكافة الأساليب . ومن الجدير ذكره انه يتم تزيين مناطق معينة من الثوب خاصة أسفله ، جوانبه ، أكمامه و قبته ، وذلك لاعتقاد شعبي أن الأرواح الشريرة تدخل من الفتحات في الملابس ، مما يشير إلى الإيمان بالغيبيات والقوى الخفية . وفي هذا المجال كان للمثلث كوحدة زخرفية دور واضح في اعتقاد البعض بأنه يحميهم من القوى الشريرة والحسد ، لذا استمر استخدامه على الأزياء الفلسطينية المعاصرة خاصة في مناطق بئر السبع والخليل (المزين ، 1975، ص 54-55) .

كانت المرأة ترسم ما تراه من جمال الطبيعة والأرض على مطرزاتها ، ففي حيفا رسمت البرتقال وفي الخليل العنب والزيتون ، بينما في بئر السبع ، فإنها لعدم وجود الأشجار هناك استمدت من السماء النجوم كنجمة الصباح وبنات النعش والنجمة الثمانية (أبو خوصة ، 1993، ص 13) .

لذا ، فانه من الضروري لكل شعب أن يتمسك بترائه ليكون أمانا له من أي تغيير مدمر قد ينتج عن الاندفاع المحموم نحو التقدم ، وهذا لا يعني التمسك المطلق به لأنه ربما يكون سلبيا على أصحابه ، خاصة إذا ما رفضوا مناقشة أي جديد لمجرد كونه جديد . وربما يكون السبب الرئيسي للتمسك به هو الإخلاص الشديد له والسير على خطى الآباء والأجداد (الجوهري ، 1981 ، ص 29-830) .

المحاولات الصهيونية لطمس التراث الفلسطيني وتهويده :

أصبح لا يخفى على احد أن إسرائيل والصهيونية تركز كل جهودها وتوظف كل إمكاناتها لتحقيق مزاعمها وادعاءاتها التي تعبر عن عقدة النقص التي تعاني منها ، كل ذلك من اجل اختلاق تاريخ وحضارة في فلسطين ، ثم العمل على تشويه وطمس المعالم التراثية الفلسطينية العربية الكنعانية وتهويدها .

إن تصريحات وأقوال العديد من الشخصيات والقيادات الإسرائيلية تؤكد ذلك ، وفي مقدمتها مقولة ثيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية في كتابه (الدولة اليهودية) : " علينا أن نمتلك الوطن اليهودي الجديد ، مستخدمين كل ذريعة حديثة وبأسلوب لم يعرفه التاريخ حتى الآن ،

وبإمكانات نجاح لم يحدث مثلها من قبل " . أما رئيسة وزراءهم سابقا جولدا مائير " ليس هناك من شعب فلسطيني ، وليس الأمر كما لو أننا جننا لنطردهم من ديارهم ، والاستيلاء على بلادهم ، أنهم لا وجود لهم " . وبالرغم من كل الأفعال والممارسات ووسائل التزييف إلا إن بعض الاسرائيليين لم يعد مقتنعا بها ، مما حدا ب (عاموس ايلون) القول : " إننا أصبحنا غير قادرين على ترديد الحجج البسيطة المصقولة وأنصاف الحقائق المتناسقة التي كان يسوقها الجيل السابق " . وأكثر من ذلك ما نجده عند ابرز مؤرخيهم (بني موريس) حينما يقول : نحن الإسراييليين كنا طيبين ، لكننا قمنا بأفعال مشينة وبشعة كبيرة ، كنا أبرياء لكننا نشرنا الكثير من الأكاذيب وأنصاف الحقائق ، التي أفنعنا أنفسنا والعالم بها " . أما الشاعر اليهودي (ايلي أيلون) فيقول : " إن البعث التاريخي للشعب اليهودي وأي شئ يقيمه الإسراييليون مهما كان جميلا ، إنما يقوم على ظلم الأمة الأخرى ، ولسوف يخرج شباب إسرائيل ليحارب ويموت من أجل شئ قائم أساسا على الظلم ، إن هذا الشك ، يشكل أساسا صعبا للحياة " (حداد ، 1986 ، ص 17) . أما مناحيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل الأسبق وقائد إحدى منظماتهم الدموية فيزعم أن كل ما هو فلسطيني في التاريخ والجغرافيا ، هو إسراييلي بالضرورة منذ كان التاريخ ، وكانت الجغرافيا (الخليلي ، 1998 ، ص 17) . ولا يخفى على أحد اليوم أن كل تلك التصريحات والإجراءات الصهيونية من اجل محو تراثنا الفلسطيني عامة والأزياء منه خاصة . ولذلك اكتشف شعبنا نكبته في أزيائه والتي لا تتفصل عن نكبته الكبرى في أرضه ووطنه .

ولم تكن زيفا أمير اقل من الآخرين في تزييف الحقائق ، حيث تجاهلت في كتابها " أرابسك " الصادر سنة 1977م أصل فن التطريز الفلسطيني العربي الكنعاني ، فعمدت إلى تعويمه فأطلقت عليه " فن الأراضي المقدسة " . وعلاوة على ذلك ، فإنها ألصقت به الصبغة التوراتية من خلال ذكرها لنص من سفر الخروج " لقد ملأهم الرب بالحكمة ليؤدوا أعمال الرجال والحرفيين المهرة وليصبغوا المنسوجات بألوان الأزرق والمخمل القرمزي " (سرحان ، 1989 ، ص 584) . ورغم تجاهل البعض لأصل وأصحاب هذا الفن ، لكنهم أغفلوا حقيقة مهمة تتمثل في كون العبرانيين بدوا متخلفين لا يعرفون شيئا من التحضر الذي كان سمة الكنعانيين والفلسطينيين ، فبدأوا بالاقْتباس و التآثر بهم دينيا واجتماعيا وسياسيا ، وأكثر من ذلك ، فإنهم خلعوا الجلود التي كانت لباسهم ، واستبدلوها بالملابس الكنعانية الصوفية الجميلة ، مما جعل من الصعوبة التفريق بينهم في المظهر الخارجي والمهنة وأسلوب العيش ، (برستد ، 1983 ، ص 222) .

لقد عمدت إسرائيل بعد احتلال فلسطين سنة 1948م إلى سرقة التراث الفلسطيني وطمسه وتهويده مستخدمة الطرق والوسائل المتنوعة ، وفي تركيزها على الزي الشعبي الفلسطيني قامت بتسخير وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الخمسينيات من القرن الماضي بإدخال وحدات زخرفيه جديدة ، خاصة في مناطق المخيمات في الدول العربية المجاورة ، لذا ، أنشأت مشاغل التطريز الممكنة والتي تستخدم وحدات وتصاميم زخرفيه جديدة مثل الأكواخ الأمريكية ، ميكي ماوس ، نساء عاريات ، صور الأطفال والحيوانات الغريبة ، كل ذلك لطمس تراثنا وبيع المنتج بأسعار زهيدة وترويج الأزياء الجديدة بدلا من الأصلية (المزين ، 1981، ص 209) كما وضعت العراقيل والعقبات للحيلولة دون استيراد الخيوط اللازمة للحياكة والتطريز من مصر والهند (خليل ،الزي الفلسطيني ...عراقة التاريخ ونكهة الأرض ، 2010 ، www.alqudslana.com)، وعلى المستوى الدولي تنسب إسرائيل لنفسها عناصر الزي الفلسطيني من خلال دور الأزياء التي تقيمها ، والمهرجانات والمعارض التي تنظمها ، كما تقوم بإصدار الكتب المتخصصة على شكل سلسلة الفلكلور الإسرائيلي (البطمه ،1995، ص 37 39).

ولا يقتصر الأمر على ذلك ، حيث تلبس زوجات قاداتهم وسياسيهم الأزياء الفلسطينية المسروقة في الحفلات والرحلات والمهرجانات الدولية وفي مقدمتهن زوجة موشيه ديان ، كما انتحلوا الثياب الفلسطينية المطرزة من نوع الردان والتي عثر في مجدو على نقش لفتاة كنعانية تلبسه ، والتي اقترنت بالزي الرسمي لمضيفات شركة العال الإسرائيلية للطيران ، إضافة إلى ذلك ، سرقوا عناصر زخرفيه ومنها زخرفة النجمة الثمانية ذات الأصل الكنعاني والتي يعود تاريخها إلى حوالي 4500 قبل الميلاد، ولا تزال تظهر على الأزياء الفلسطينية المطرزة ، وتعتبر من أساسيات زخرفة فن التطريز الفلسطيني المعاصر (البرايت ، 1971 ، ص71) حيث عثر على نماذج منها في بيسان وأريحا ومجدو وغزة وبئر السبع وجازر ، كما تم استخدامها في زخارف قبة الصخرة المشرفة ، وكان يرمز لها برموز عديدة منها كوكب الزهرة والهة الخصب عناة وغيرها (عبدا للطيف ، 2008، ص 8) مما جعل زوجة موشيه ديان تطمس معالمها وتستبدلها بالنجمة السداسية بزعم أنها تراث إسرائيلي (أبو حوصة ، 1993 ، ص 13) ، ولم يقتصر الأمر على ذلك ، فقد سرقوا أيضا التصميمات الخاصة بالملابس الداخلية النسائية الفلسطينية (الشلحة) وعرضوها كنماذج أثواب لفصل الربيع (البطمه ، 1995 ، ص 211) . ولم تتج الكوفية الفلسطينية من السرقة والطمس باعتبارها رمزا للشعب الفلسطيني ، فمنذ ثورة 1936م تم اعتماد الكوفية (الحطة) من قيادات الثورة لتوحيد شرائح المجتمع ، وبديلا عن العمامة و الطربوش الذي كان يميز أهل المدن ، فقام الإسرائيليون بتحويلها والتعديل على معالمها الفلسطينية لتصبح كوفية يهودية يتم ترويجها

في كل المحافل الدولية (الموسوعة الفلسطينية ، 1984، ص 203) . وليس غريبا أن نرى إسرائيل ترفض تخصيص الموارد اللازمة لتدريس التراث الفلسطيني في المدارس العربية داخل الخط الأخضر ، في الوقت الذي تسمح فيه بإحياء التراث الخاص بالأقليات كالدروز والبدو وغيرها (حداد ، 2007 ، ص 49-150) وما ذلك إلا لتجزئة التراث الفلسطيني من جهة ، والتمييز الطبقي والعنصري بين شرائح المجتمع الفلسطيني ونشر الفتنة والكراهية بينها من جهة ثانية .

وسائل مواجهة السرقة والتهويد :

نظرا لتنوع الأساليب والادعاءات الصهيونية في سرقة وتشويه وتهويد الأزياء الشعبية الفلسطينية منذ اللحظات الأولى لاغتصاب فلسطين ، كان لا بد من الرد على ذلك حفاظا على تراثنا وهويتنا الوطنية بشتى الوسائل الممكنة، والتي من أهمها :

1. تأسيس المؤسسة الوطنية (صامد) وتجهيزها بالمشاغل الخاصة بالأزياء الفلسطينية المعبرة عن أصالة شعبنا وجذوره الضاربة في أعماق التاريخ لأكثر من 7 آلاف عام .
2. تنظيم المعارض العالمية الدائمة والمؤقتة لترويج تراثنا وتسويق منتجاتنا وإبراز إبداعاتنا المختلفة . (المزين ، 1981 ، ص 213) مع العلم إن المعارض الإسرائيلية في الخارج تركز على قلب الحقائق وتزييفها ، حيث تظهر الأزياء الفلسطينية فيها تحت مسميات يهودية مزعومة يتم توظيف كل الطاقات لترويجها عالميا .
3. العمل على كشف ثم فضح الممارسات الإسرائيلية عبر الوسائل الإعلامية المختلفة ، ليدرك الجميع محليا وإقليميا ودوليا همجية وأكاذيب المؤسسة الإسرائيلية .
4. تشجيع وتطوير المهتمين والباحثين من الفلسطينيين والعرب وتقديم الدعم اللازم لهم للعمل على إحياء التراث وترويجه والمحافظة عليه .
5. تشجيع الارتباط والانتماء لتراثنا الأصيل والاستعداد لمواجهة العناصر الحديثة والدخيلة عليه خاصة في مجال الأزياء الشعبية (المزين ، 1981 ، ص 11)

6. عرض وترويج أزيائنا الشعبية في كافة المناسبات بطرق جذابة ، مثل عرضها بمصاحبة الأغاني الشعبية التي تثري معرفتنا بكل منطقة ينتسب إليها الزي (أبو هدبا ، 1996 ، ص 87-88) .

النتائج والتوصيات :

1. هناك نوع من الجهل خاصة بزي الرجل الفلسطيني ، وأحيانا قد يصل الأمر إلى التهكم والتهجم على الزي الشعبي ومرتيديه والاستهزاء بهم . مما يتطلب تضافر الجهود لنشر التوعية الوطنية بأهمية هذا العنصر التراثي وضرورة الحفاظ عليه وحمايته من المخاطر المحدقة به .
2. يوجد إهمال وتقصير من الوزارات والمؤسسات الفلسطينية ذات العلاقة بهذا المجال ، كوزارة السياحة والآثار ووزارة الثقافة ووزارة الإعلام وغيرها ، لأنها لا تضع موضوع التراث عامة ضمن أولوياتها ، ولا تخصص الميزانيات الكافية لدعمه وتطويره . كما أنها تفتقر إلى التشريعات والقوانين اللازمة لتنظيم وحماية التراث الفلسطيني وتوثيقه .
- 3 العمل على تسجيل وتوثيق الانتهاكات الصهيونية فيما يخص التراث الفلسطيني عامة والزي منه خاصة ، لممارسة الضغوط الدولية لإجبار إسرائيل على تغيير سياستها والحيلولة دون طمس تراثنا وتهويده . ثم السعي لأن تصبح فلسطين عضوا كاملا في الهيئات والجمعيات الدولية كالأمم المتحدة واليونسكو وغيرها حتى تستطيع حماية تراثها .
4. تقديم كل أشكال الدعم والمساعدة المادية والمعنوية للجمعيات والفرق والشخصيات المهمة من مؤلفين وكتاب وجامعين في مجال الزي الشعبي الفلسطيني من أجل الحفاظ عليه من الانقراض ، وفي نفس الوقت توفير مصدر رزق لهم ، ثم ترويجه دوليا .
5. تشجيع ارتداء الزي الشعبي الفلسطيني في المهرجانات والمناسبات الوطنية والاجتماعية والأكاديمية ، ولا ضير في تخصيص أسبوع للتراث الفلسطيني يحتفل به سنويا وأن لا يقتصر الأمر على يوم التراث الفلسطيني الذي يصادف 7 تشرين أول من كل عام . مما يشجع على الاعتزاز بالذات الوطنية ويدعو للتفاخر ويعمق الانتماء للهوية الفلسطينية .

6. ضرورة إدخال موضوع التراث في المناهج المدرسية والمقررات الجامعية لما تمثله شريحة الطلبة من أهمية قصوى في حماية تراثهم والحفاظ عليه . إلى جانب إعداد وتخريج الكوادر والكفاءات المتخصصة في التراث بشكل عام . مع ضرورة استخدام التكنولوجيا في ذلك .

7. تأسيس متحف وطني خاص بالتراث الفلسطيني ، مع تشجيع إقامة المتاحف المحلية في كافة المحافظات لنفس الغرض . لمسح وجمع وحفظ ودراسة وتقييم وعرض وصيانة وتأهيل المواد التراثية ، وتنظيم المعارض محليا ودوليا لترويجه من جهة ومواجهة الهجمة الصهيونية ضد تراثنا من جهة ثانية .

8. إنتاج المسلسلات والأفلام والبرامج التلفزيونية والإذاعية التي تركز اهتمامها بنشر الوعي التراثي والتعريف بأزيائنا الشعبية سواء من خلال ملابس المذيعين والممثلين أو من خلال البرامج الوثائقية المتخصصة .

9. العمل على إبداع رموز جديدة ، وفي نفس الوقت تحافظ على الطابع الفلسطيني ، وذلك من خلال المواءمة والتناغم بين الأزياء الشعبية القديمة وزخارفها المتنوعة مع الملابس الحديثة التي تستمد جمالها من أصالة الماضي . بمعنى ضرورة تكامل الإيمان بالتراث والاندفاع نحو التقدم لاختلاق عناصر تراثية جديدة .

10. إن المجتمع بحاجة ماسة إلى تراث يستمد منه قوته لمواجهة كل ما يهدد وجوده . وفي المقابل لا بد من المحافظة على هذا التراث ورعايته من قبل المجتمع كله .

قائمة المراجع :

المراجع العربية :-

1. أبو خوصة ، أحمد. (1993) أزياؤنا الشعبية هويتنا العربية (الزي الأردني والفلسطيني) . دار الفكر العالمي للدراسات ، عمان , الأردن .
2. أبو هدبا ، عبد العزيز. (1996) " أزياؤنا الشعبية هويتنا المطرزة " . التراث والمجتمع ، ع 28 ، جمعية إنعاش الأسرة ، البيرة .
- 3 البرايت ، وليم. (1971) آثار فلسطين . ترجمة زكي اسكندر ومحمد عبدا لقادر ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .
- 4 أمين ، ابتهاج وآخرون. (2009) التراث الملبسى للمرأة في فلسطين . ط1 ، عالم الكتب ، القاهرة .
- 5 برستد ، جيمس هنري. (1983) العصور القديمة . ترجمة داود قران ، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
- 6 البطمه ، نادية. (1995) " الفولكلور والهوية الفلسطينية " . التراث والمجتمع ، ع 25 ، جمعية إنعاش الأسرة ، البيرة .
7. جودي ، محمد حسين. (1997) تاريخ الأزياء القديم . ج1 ، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان .
8. الجوهري ، محمد. (1981) علم الفولكلور . ج1 ، ط4 ، دار المعارف ، القاهرة .

9. حتي ، فيليب. (1958) تاريخ سوريه ولبنان وفلسطين . الجزء الأول ، ط2 ، ترجمة جورج حداد وعبدالكريم رافق ، دار الثقافة ، بيروت .
10. حداد ، منعم. (2007) " الفولكلوريات الفلسطينية في الداخل " .التراث الفلسطيني هوية وانتماء. مؤتمر التراث الشعبي الفلسطيني ، جامعة القدس المفتوحة .
11. حداد ، منعم. (1986) " ما هو التراث " . التراث الفلسطيني بين الطمس والإحياء ، الطيبة ، فلسطين 1948 .
12. الخليلي ، علي. (1998) " النكبة والهوية - فولكلور اكتشاف الذات " . التراث والمجتمع ، ع 31 ، جمعية إنعاش الأسرة ، البيرة .
13. سرحان ، نمر. (1989) موسوعة الفولكلور الفلسطيني . ج2 ، ط2 ، مركز الأبحاث الفلسطيني ، عمان .
14. سوكولوف ، يوري. (1971) الفلكلور قضاياه وتاريخه . ترجمة حلمي شعراوي وعبد الحميد حواس ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة .
15. شعث ، محمد سليمان. (2000) العادات والتقاليد الفلسطينية . دار النمير للنشر ، سوريا .
16. عبداللطيف ، مازن. (2008) " المكتشفات الأثرية ودورها في مواجهة محاولات طمس التراث الفلسطيني وتهويده " . مجلة جامعة الخليل للبحوث ، مجلد3 ، ع2 ، جامعة الخليل ، الخليل .
17. عرنيطه ، يسرى. (1998) الفنون الشعبية في فلسطين . ط3 ، وزارة الثقافة ، رام الله .
18. عناني ، نبيل و منصور ، سليمان. (1989) دليل فن التطريز الفلسطيني . جمعية إنعاش الأسرة ، البيرة .
19. العنتيل ، فوزي. (1978) بين الفولكلور والثقافة الشعبية . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

20. قعوار ، نهى زعرب. (1974) تاريخ الناصرة - مسيرة عبر العصور . مطبعة فينوس ، الناصرة .
21. قعوار ، ودا د كامل وآخرون. (1996) التطريز الفلسطيني " غرزة الفلاحى " التقليدية. المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .
22. كراب ، الكزا ندر هجرتي. (1967) علم الفولكلور . ترجمة رشدي صالح ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة .
23. كناعنه ، شريف وآخرون. (1982) الملابس الشعبية الفلسطينية . جمعية إنعاش الأسرة ، البيرة .
24. مرسي ، أحمد. (1975) مقدمة في الفولكلور . دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة .
25. المزين ، عبد الرحمن. (1981) موسوعة التراث الفلسطيني (الأزياء الشعبية الفلسطينية) . ج1، ط1 ، منشورات فلسطين المحتلة وصامد .
26. المزين ، عبد الرحمن. (1975). "الفن التشكيلي في فلسطين عبر التاريخ " . رسالة ماجستير ، كلية الفنون الجميلة ، جامعة حلوان .
27. الموسوعة الفلسطينية. (1984) ج1 ، ط1 ، هيئة الموسوعة الفلسطينية ، دمشق .
28. الموسوعة الفلسطينية. (1984) ج2 ، ط1 ، هيئة الموسوعة الفلسطينية ، دمشق .
29. نصر ، ثريا. (1998) تاريخ أزياء الشعوب . عالم الكتب ، القاهرة .
30. نعيرات ، حسن وجبر، محمد. (2011) الفنون الشعبية الفلسطينية . ط1 ، وزارة الثقافة الفلسطينية و جامعة النجاح الوطنية .

المراجع الأجنبية :-

1-Kenyon,K. (1954) . Excavations at Jericho , British School of Archaeology , Jerusalem .

2- Rajab,J. S. (1989). Palestinian Costume, Kegan Paul International , London and NewYork .

مواقع الإنترنت :-

1. حمودة ، شريف ، " الحطة الفلسطينية...موضة أم قضية " ، WWW.islamonline.net ،

2. كراجه ، ليزا ، 2006 ، " الزي الفلسطيني ... سجل وتاريخ " ، www.jalili48.com ،

3. خليل ، محمد ، 2010 ، "الزي الفلسطيني عراقة التاريخ ونكهة الأرض " ،

www.alqudslana.com